

# الإبداع...

## مسئولية من



د. عبدالرحيم محمد  
خبير تقييم الأداء

يعتقد كثيرون أن المبدعين يولدون هكذا، وهذه الفكرة خاطئة، لأنها تمثل عقبات كثيرة في طريق الإبداع، كما ترسخ في الأذهان أن الإبداع له أشخاص لهم مواصفات محددة، وان هؤلاء مبدعون بالفطرة، فالإبداع موهبة، ولكن الله سبحانه وتعالى وهب لكل إنسان موهبة معينة يستطيع الإبداع من خلالها، وهذا يتطلب من الفرد اكتشاف موهبته و صقلها بالدراسة والتدريب.

فطبيعة الإنسان تدفعه دائماً إلى البحث عن الأفضل والبحث عن النجاح والتفوق، وعليك أن تسأل نفسك الآن كم من المرات كانت لك أهداف وأحلام تريد أن تحققها، ولكن للأسف تراجع عنها لعدم إقتناعك بقدراتك، بالإضافة إلى الآراء الاستشارية المحيطة من الآخرين الذين تخطيء كثيراً عندما تأخذ برأيهم لأنهم ليسوا من ذوي الخبرة.

لا ينحصر الإبداع في مجال معين أو علم معين، أو أن نتصور أن الإبداع لابد أن يكون محصوراً في الأعمال الكبيرة وال ضخمة، إذا كان مفهومنا عن الإبداع هو ذلك المفهوم، فإن هذا يعتبر من معوقات الإبداع، ولكن الإبداع أمر بسيط فقد نراه في لمسة جمال أو نشعره في عمل فني، أو شيء نراه مختلفاً عن الأعمال الأخرى.

الخطأ الكبير الذي يواجهنا في حياتنا هو أننا نضع القيود على تفكيرنا ونضخم المشكلات التي تواجهنا باستمرار على الرغم من أن حلها يسير وبسيط. فعلى سبيل المثال لو طلبت منك ان تمزق هذه المجلة التي تقرأها الآن، فهناك أمرين، الأول هو أن تسألني كيف أمزقها هل بيدي ام باستخدام آلة حادة أو أمزقها صفحة صفحة وهكذا، أما الأمر الثاني فهو أنك تقوم بتمزيقها دون أن تسأل عن كيفية تمزيقها، الحالة الثانية هي الصحيحة، لماذا؟ لأنك لم تفرض على نفسك قيوداً كما الحالة الأولى لأنني لم أطلب منك تمزيقها بطريقة معينة ولكن تركت لك الخيار.

## ماذا نعني بالتفكير الإبداعي؟

كلنا يعرف إسحق نيوتن الذي سقطت عليه التفاحة. لو أنه لم يفكر تفكيراً إبداعياً، في لماذا سقطت هذه التفاحة؟ لما اكتشف قانون الجاذبية. فلو اكتفى نيوتن بسقوط التفاحة وحمد الله أنه أرسلها إليه وأكلها ليسد بها جوعه ما كان هناك قانوناً للجاذبية، ولكن الأمر اختلف فهو فكر بشكل جدي ودرس لماذا سقطت التفاحة إلى أسفل دون أي اتجاه آخر، ونتيجة التفكير والتأني وصل لشيء له أكبر الأثر في تاريخ البشرية، فقلنا أن فكر بشكل جدي في شتى أمور الحياة، فالكثير منا تقع عليه أشياء كثيرة مثل التفاحة التي وقعت على إسحق نيوتن ولكنه لا يفكر فيها فمن أين يأتي الإبداع؟! من هنا لا بد من التفكير في الأمور بشكل مختلف.

## الفرق بين التفكير الإبداعي والتفكير التحليلي

هناك تساؤل هل هناك فرق بين التفكير الإبداعي والتفكير التحليلي؟، يعتمد التفكير التحليلي على القواعد التي تسمح بالتوصل إلى حل واحد كما في المسائل الرياضية، أما التفكير الإبداعي يعتمد بشكل كبير على الخيال، وكما يقول أينشتاين أن الخيال أهم من المعرفة، وبالتالي يركز التفكير الإبداعي على أكثر من بديل للمشكلة أو السؤال أو القضية، ولذلك هو مهم في صناعة القرارات، لأن القرار في أبسط تعريف له هو الاختيار من بين البدائل، ففي التفكير التحليلي  $2=1+1$ ، أما في التفكير الإبداعي يمكن النظر إلى المسألة من منظور مختلف فقد يكون  $11=1+1$  أو  $7$  أو  $8$  أو  $T$  أو  $L$  أو  $X$  وهكذا يمكن تصور أكثر من حل أو استخدام للأرقام.

## ابحث عن المبدع بداخلك:

بداخل كل منا شخص مبدع ولكن أين هو؟ علينا أن نبحث بشكل دائم ومستمر عنه حتى نصل إليه، لأنه يحتاج إلى الحياة ولكن لن تكتب له الحياة إلا إذا اكتشفناه، لماذا يتميز طبيب عن آخر؟ لماذا يكون هناك ممثل مشهور وآخر أقل شهرة؟، لماذا يتفوق محام على آخر ويحقق الشهرة؟، لماذا يقرأ شخص هذه المقالة ويفكر فيها وآخر لا يفعل هذا؟ الفرق في منتهي البساطة وهو في قدرة الشخص في اكتشاف نقاط معينة داخله، وهي نقاط القوة والتميز ويعمل على تمييزها بشكل صحيح ومن هنا يأتي الإبداع.

فالكاتب الإيطالي الشهير ألبيرتو مورافيا إكتشف المبدع بداخله بعد فترات صعبة مر بها ففي التاسعة أصيب بمرض سل العظام والذي أقعده عن الحركة، حتى عمر الثامنة عشرة، وهنا بدأ يكتشف ميوله الأدبية و انطلاقة إلى العالمية، فالمعاناة أكسبت ألبيرتو مورافيا الإبداع حيث بدأ يعبر عن معاناته في كتاباته وكتب روايته الأولى «الذين لا يكثرثون

أو المتواكلون» ثم رواية خيبة الأمل، شتاء مريض، الأمل، الموت الفجائي، البلبلة، أحلام كسول، الضابط الإنجليزي. اكتشف مورافيا أن نقاط قوته لم تكن في جسده ولكن كانت في ما يمتلكه من مهارات وأفكار في مجال الأدب ومن هنا وصل إلى العالمية.

## الإبداع يحتاج إلى وقفة:

لو نظرنا لاختراعات كثيرة في العالم نجدها نتيجة وقفة أمام شيء ما، ونتيجة النظر لأشياء مألوفة ولكن بتفكير غير مألوف، ففي فرنسا كانوا يغطون جذوع أشجار العنب الموجودة بجوار الطرق بمادة الجير الحي حتى لا يعبث بها الأطفال، واعتادت الناس على هذا، ولكن شخص يسمى «بورديو» لاحظ أن الأشجار الموجودة بجانب الطريق والتي تغطي بمادة الجير الحي أكثر إنتاجية من الموجودة داخل الحقل، بحث عن السبب فوجد أن هذا المحلول (الجير الحي المخروط بالماء) يقضى على حشرات تكون موجود داخل القلف المغلف للشجرة وبالتالي يجنب الأشجار من الإصابة بالأمراض التي تقلل من الإنتاجية، ومن هنا اكتشف هذا السر وأصبح هذا المحلول يسمى باسمه محلول «بورديو»، هذا الاكتشاف جاء من فكرة بسيطة نتيجة النظرة للشيء من زاوية مختلفة. نحن أما منا الكثير من الأشياء تحتاج إلى نظرة مختلفة.

## التفكير خارج الصندوق:

يشير ستيفن كوفي في كتابه فكر خارج الصندوق إلى أنه عليك أن تصلح ذاتك من الداخل وتحارب بكل الوسائل حديث النفس الذي من شأنه أن يقلل من قدرك ويضعف من عزيمتك. ثق في قدراتك وفي إمكانياتك و أستغل كل الظروف لصالحك سواء من أجل تحقيق أهدافك أم من أجل إصلاح نفسك لكي تصلح مجتمعك. وإليك هذه القصة التي تشير إلى التفكير خارج الصندوق وهي قصة الرجل والقرض.

يحكى أن رجل أعمال ذهب إلى بنك في مدينة نيويورك وطلب مبلغ ٥٠٠٠ دولار كقرض من البنك. يقول إنه يريد السفر إلى أوروبا لقضاء بعض الأعمال طلب موظف البنك من رجل الأعمال ضمانات لهذا القرض، لذا سلم رجل الأعمال مفتاح سيارته الرولر رويز إلى البنك كضمان مالي!

قام رجل الأمن في البنك بفحص السيارة وأوراقها الثبوتية ووجدتها سليمة، وبهذا قبل البنك سيارة الرولر رويز كضمان. وهنا كان الأمر غريباً على رئيس البنك والعاملين، وضحكوا كثيراً من الرجل، لإيداعه سيارته الرولر رويز والتي تقدر بقيمة ٢٥٠٠٠٠ دولار كضمان لمبلغ وقدره ٥٠٠٠ دولار. وقام أحد العاملين بإيقاف السيارة في مواقف البنك السفلية. بعد أسبوعين، عاد رجل الأعمال من سفره وتوجه إلى البنك

وقام بتسليم مبلغ ٥٠٠٠ دولار مع فواتيد بقيمة ١٥,٤١ دولار. مدير القروض في البنك قال: سيدي، نحن سعداء جدا بتعاملك معنا، ولكن لنا تساؤل! لقد بحثنا في معاملاتك وحساباتك وقد وجدناك من أصحاب الملايين! ، فكيف تقترض مبلغ ٥٠٠٠ دولار وأنت لست بحاجة إليها؟ رد الرجل وهو يبتسم:

في اعتقادك ما هو الحل؟

سيدي، هل هناك مكان في مدينة نيويورك الواسعة أستطيع إيقاف سيارتي الرولرز ريز فيه بأجرة ١٥,٤١ دولارا لمدة أسبوعين دون أن أجدها مسروقة بعد مجيئي من سفري؟

### التفكير الإبداعي يصنع النجاح

صبي في الولايات المتحدة .. قرر أن يعمل في الصيف .. وبدأ البحث . عن عمل ولكن أغلقت الأبواب أمامه. وكلما جاء لصاحب محل تجاري رفضه .. استمر في عرض نفسه كعامل مجد ومجتهد ولكن بلا فائدة.

وعندما أصيب بالإحباط .. عاد لبيته محملاً بقدر كبير من الهم .. وفجأة سمع أن ابن الجيران .. وجد عملاً .. عند صاحب المحل الذي رفض أن يجعله يعمل معه وقال له لا احتاج لعامل . فغضب الصبي وذهب لصاحب المحل. وبدأ في اتهام صاحب المحل بالكذب . نظر إليه صاحب المحل .. وقال .. أنت حضرت قبل أسبوع ولم اقبلك في العمل معي و حضرت اليوم أيضا ولكن لم اقبلك تعمل معي وحتى لو حضرت بعد أسبوع أو سنه لن أوظفك. تدري لماذا .. ؟ لأنك لم تصنع نجاحك بنفسك ولكن ذلك الصبي صنع نجاحه بنفسه سكت الصبي .. وارتسمت علامات التعجب على وجهه .. واستمر العجوز في الكلام وقال نعم .. لم يأت هذا الصبي ويقول أريد عملاً .. ولكن جاء وقال .. لدي فكرة .. وكانت فكرته سأقوم بالذهاب لكل بيت في الحي وانظر ما يريدون وسأنتقل الطلبات بدراجتي .. نعم فكرة جميلة .. هكذا قال العجوز وزادت المبيعات فكم من شخص بيني وبينهم عداوة .. ولكن الآن أصبحوا يشترون من خلال هذا الصبي . نعم ... فكر في القصة .. كلنا نستطيع أن نصنع نجاحنا ولكن علينا بالتفكير .

### الإبداع رؤية مختلفة :

رسم احد المدرسين دائرة صغيرة على السبورة وسال الطلاب ماذا ترون ، فكانت اجابات الطلاب متنوعة ومتباينة، فمنهم من قال انها دائرة والبعض فال رقم خمسة ، وآخرون نظروا إليها على أنها خاتم ، وهكذا تنوعت الآراء، ثم قام أحد الطلاب وقال إنها عمود تليفون او كهرباء أو عمود يعلق عليه العلم ، كيف يكون ذلك، هذا الطالب عندما نظر إليه نظر من اعلى ، ولم ينظر من الزاوية التي نظر منها الآخرون. هنا

الإبداع لأن الجميع نظر للدائرة من منظور واحد وهو مستوى النظر ولكن الإبداع هو الخروج عن هذا المستوى إلى مستوى أعلى وهذا لم يفكر فيه الكثيرون.

من هنا نحن في حاجة إلى تغيير نظرتنا للحياة والنظر إلى الأشياء من زوايا متعددة والتخلص من الروتين الفكري ، وننتقل إلى الإبداع.

قصة أخرى في التفكير غير المألوف ، أربعة من الأصدقاء فكروا في قضاء أجازة نهاية الأسبوع ، وتوجهوا إلى الجهة التي يقصدونها وهناك كان الجوارح ففكروا أن يبقوا يوماً إضافياً ولكن احدهم اخبرهم أن يوم الأحد عليهم امتحان شهري، فقال احدهم نتصل بأستاذ المادة ونقول له أننا نقضي أجازة ولدينا مشكلة نتيجة انفجار إطار السيارة، وينتظرون من يعود بهم ، وعندما اتصلوا بالأستاذ وافق على تأجيل الاختبار . وعندما رجعوا يوم الاثنين جعل الأستاذ الطلاب الأربعة كل واحد منهم في ركن من أركان القاعة وطلب منهم الإجابة عن الأسئلة التالية :

١. أي إطارات السيارة الأربعة أنفجر؟
  ٢. كم كانت الساعة وقت حدوث الحادث؟
  ٣. من منكم كان يقود السيارة في ذلك الوقت؟
  ٤. ما هو ترتيب جلوسكم في مقاعد السيارة؟
  ٥. هل تضمن أن يجيب بقية أصحابك بنفس إجابتك؟
  ٦. هل كان الإطار الأمامي الأيمن أو الأيسر أو الخلفي الأيمن أو الأيسر؟
- في آخر الأسئلة ملاحظة : إذا كانت إجاباتكم متطابقة فسوف أعطيكم الدرجة كاملة.
- هذا الأستاذ فكر بطريقة غير مألوفة فيها نوع من الإبداع ، وبالتالي يستطيع أن يكشف مدى صدق هؤلاء الطلاب.

### من الأكثر إبداعاً الرجل أم المرأة؟

سؤال قد يثير جدلاً عند كثيرين ، فالرجل يرى أن الرجال هم الأكثر إبداعاً، وفي المقابل المرأة ترى أن النساء هن الأكثر إبداعاً، الحقيقة أن الله سبحانه وتعالى جعل الإبداع نسبي بين الجميع وليس نوعي ، أقصد أن الإبداع ليس على أساس النوع ذكر أو أنثى ولكن الإبداع موجود عند الاثنين بنسب متفاوتة، لو نظرنا إلى مجالات الحياة المختلفة ترى أن هناك نساء مبدعات وهناك رجال مبدعون كل في مجاله، وذلك لأن الله سبحانه وتعالى أعطى لكل إنسان سر بقاء لكي يستمر ويعيش في هذه الحياة هذا السر يختلف من شخص إلى آخر. وبالتالي الرجل مبدع والمرأة مبدعة، ولكن الأكثر إبداعاً هو الذي يستطيع أن يكتشف ما لديه من مهارات وقدرات ويوظفها بالشكل الذي يحقق الأهداف التي يسعى إليها.

المنغلقون على أنفسهم لا يبدعون.

هناك أشخاص دائماً يرون أنهم يعرفون كل شيء وأنهم دائماً

على صواب وغيرهم على خطأ ، ويتوهمون من أن ما يقومون به من أعمال أهم من أعمال الآخرين ، هؤلاء هم أصحاب الأفق الضيق والعقلية المنغلقة ، التي لا ترغب في التعامل مع الآخرين إما لضعفها وخوفها من أن يكشفها الآخرون ، وإما لأن ليس لديها شيئاً يحاكي الآخرين، هؤلاء دائماً بعيدون عن بؤرة الإبداع .

أما المبدعون دائماً يبحثون عن الطرق والحلول البديلة ولا يكتفون بحل أو طريقة واحدة. يمتلكون إرادة وتصميم وأهداف محددة وواضحة يعرفون كيف يصلون إليها، ولا يهتمون بتعليقات الآخرين، بل يسمعونهم، ولا يخشون الفشل أبداً وإنما يحولون الفشل إلى تجارب ناجحة، بل وينظرون للفاشلين على أنهم مادة خصبة يمكن الاستفادة منها في تحقيق النجاح ، من خلال معرفة أسباب فشلهم وبالتالي لا يقعون فيه مرة أخرى.

ذات مرة وعندما أعلن صاحب إحدى الشركات عن طلب شخص يعمل في وظيفة مدير تسويق ، وبعد نشر الإعلان تقدم له شاب ليشغل الوظيفة، وعندما سأله عن تاريخه وخبراته قال له تجربتي أكثر من ( ١٠٠ ) شركة فاشلة عملت بها ، من الوهولة الأولى قد ترى أن صاحب العمل يرى أنه غير مناسب لشغل الوظيفة، ولكن العكس هو الذي حدث، قبل صاحب العمل أن يشغل الشخص وظيفة مدير التسويق، وعندما سأله لماذا وافقت أن أشغل الوظيفة وأنت تعرف تاريخي في العمل، رد صاحب العمل قائلاً كيف لا أقبل شخص يعرف أكثر من ( ١٠٠ ) تجربة خاطئة وفاشلة ، على الأقل سأجنب هذه التجارب إن حدثت في شركتي. هذه هي النظر الإبداعية لصاحب العمل، ربما يرى شخص آخر أن هذا الشخص لا يصلح للوظيفة قد يكون محققاً ، ولكن القدرة هنا في كيفية الاستفادة من الفشل لتحقيق النجاح.

### الحاجة تؤدي دائماً الإبداع:

كما نقول دائماً الحاجة أم الاختراع ، وبالتالي الحاجات التي تفرضها علينا الحياة تفرض علينا ضرورة البحث عن الحلول والأدوات التي تمكننا من تحقيق جودة الحياة، وهناك الكثير من القصص التي يحكيها الواقع لتثبت ذلك، فمشروع نستله والتي تعتبر من أكبر الشركات التي تعمل في مجال الأغذية والحليب المجفف، تلك الشركة التي أدخلت فكرة الحليب الجاف إلى السوق ولم يكن أحد يتوقع أن يكون هذا ، ولكن الواقع يحكي هذا النجاح وكيف أنها فتحت مجال لتجفيف الألبان ، والفكرة جاءت لصاحب الشركة قبل أن تكون الشركة عندما كان ابن الجيران لا يرضع رضاعة طبيعية وكان يعاني بشكل كبير من سوء التغذية وكان صراخه طول الليل يسبب له نرى نستله إزعاجاً كبيراً من هناك فكر في كيفية تجفيف حليب البقر ، وبعد محاولات نجح في تجفيفه وخلطة بدقيق

القمح ومن هنا فتح الباب أمام عالم الألبان المجففه. من هنا يتضح لنا أن الإبداع أحياناً تكون له عوامل ومحفزات خارجية يمكن من خلالها أن تظهر الأفكار الإبداعية التي يكون لها أثراً كبيراً في تطوير الحياة وتطوير المجتمع.

### لكي تبدا لا تهتم بسخرية الآخرين:

من أكبر المعوقات في الإبداع هي الاهتمام بسخرية وانتقاد الآخرين، لأن لهم منظورهم الخاص في النظر للأشياء ، ولأنهم لم يعيشوا الفكرة من بداية ظهورها و حتى ولادتها من هنا لا تهتم بأرائهم المحيطة كثيراً طالما أنت واثق من أنك تفكر في الطريق الصحيح. هنري فورد عندما فكر في عمل مصنع لإنتاج السيارات ثار عليه الكثيرون وحاول أصدقائه منعه من بناء هذا المصنع ، بحجة أن هذه الآلة قاتلة ولن يتركها الناس تسعي في الطرقات تحصد أرواحهم. وكيف لطرقات أمريكا الوعرة أن تسير بها هذه السيارات. لو استجاب هنري فورد لهذه الآراء ما كانت شركة فورد العملاقة لصناعة السيارات. ولكنه قال ستصبح أمريكا كلها سيارات تمشي على الأرض. لم يهتم فورد بهذه الآراء لأنه رأى أنها غير منطقية وان هناك حاجة للتغيير ومواكبة العصر، أراد هنري فورد أن يكون من قادة التغيير وقد كان.

### أخيراً ... هل أنت مبدع؟

من حقي ككاتب أن أسألك في نهاية هذه السطور إذا كنت قرأتها بتركيز وأبدعت فيما وراء السطور ، هل أنت مبدع؟! ... سؤال صعب، أرى هذه الأفكار تدور في ذهنك الآن وأنت تحاول تقليب الأفكار في راسك وتفكر في الإجابة فإما أن تقول نعم، وعندما تتمتع في الإجابة قد لا ترى أن ما قدمته من أعمال فيه إبداع، أو تقول لا وهنا قد تتهم نفسك بأنك غير مفكر أو أنك لا تمتلك مهارات الإبداع. على كل حال أساعدك في الإجابة عن هذا السؤال ، الأمر بسيط كل إنسان لديه قدرات إبداعية ولكن القليل من الناس هم الذين يسعون لتوظيف هذه القدرات و تطوير أنفسهم ، فليس هناك شخص مبدع وآخر غير مبدع ، والإبداع لا يعتبر مسؤولية أشخاص بعينهم يمتلكون مهارات الإبداع، كلنا مبدعون وكلنا مسئولون عن الإبداع ، والقرآن الكريم في الكثير من الآيات يأمرنا بالتفكير و الإبداع من خلال النظر إلى الأشياء الموجودة حولنا والتفكير فيها ففي سورة الغاشية يقول الله تعالى « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت» (آية: ١٧ - ٢٠). الفرق بسيط جدا ، الفرق في العقلية الجامدة التي تسير كالقطار على القضبان دون أن تنظر إلى ما حولها، بدون النظر إلى ما حولك والتفكير فيه تكون بعيداً عن فرسان الإبداع.